# الاستيطان والتوطين الصهيوني في فلسطين:
# متلازمتي الطرد والجذب.

✍ عماد لبيد ، باحث في الدكتوراه
جامعة الجزائر- 3-.

**Abstract :**

The Israeli settlement in palastine was not as it's today as a result of regular process , when we trace back it both politically and historically we can find that Zionist theorists pursued political and military mechanisms In addition to some theses related to torah and telmud which sought to consecrateve reality based on driving native Palastinians from their homeland, while replacing them with jewish diaspora under the syndrome of straining and attraction .

In this rgard, our study takes up the following question:

To which extent to the consolidation of the Zionist settlement reality in Palastine ?.

**مقدمة :**

شهد التاريخ الإنساني الحديث موجات عدة من الهجرة والتهجير المرتبطة بالعملية الاستيطانية أو التو طينية،غير أن الواقع يشير إلى أن انتقال (هجرة، أو تهجير إنسان من وطنه) إلى أي مكان أخر، عملية بالغة القسوة،فعلى هذا الإنسان أن يقتلع نفسه من جذورها ويستقر في مكان أخر، ويغير نمط حياته بل ومنظومته القيمية أحيانا أخرى . بيد ان عملية تهجير الإنسان قسرا مسالة أشدّ وحشية،ومع هذا يمكن القول أن الحضارة الغربية الحديثة حضارة توجد بداخلها إمكانية كامنة للهجرة و التهجير، فهي حضارة "الترانسفير"المستمر.

تتأثر الهجرة الاستيطانية والتوطينية بعديد العوامل وتنقسم إلى عديد العناصر غير ان هناك عنصران لهما أهميتهما البالغة في نجاحها سواء منها الطبيعية أو غير الطبيعية، وهما عنصري ومتلازمتي الطرد والجذب،فالجماعة المهاجرة من منطقة ما لا بد أن تكون لها دوافع حقيقية دفعت بها إلى الهجرة (عوامل طرد )كأن تكون كوارث طبيعية أو مجاعة أو عدم استقرار سياسي أو فقر اقتصادي ....،أما عناصر الجذب فهي خاصة بالمنطقة المستوطنة المستقبلة للمهاجرين،وتتعلق بحاجيات أساسية يفتقدها المهاجر في موطنه الأصلي ويجدها موفورة في البلد الجديد الذي توجه إليه،أي أن عوامل الطرد في البلد الأصلي للمستوطن تقابلها عوامل جذب مناقضة لها في البلد الذي تتم الهجرة الاستيطانية إليه.

تنطلق الدراسة من محاولة إسقاط الأطروحات النظرية للحركة الاستيطانية والتوطينية وما تعلق بهما من عوامل الطرد والجذب من خلال التطرق إلى الأنموذج الاستيطاني والتوطيني الصهيوني في فلسطين باعتباره من اقدم التجارب وأكثرها تعقيدا خاصة فيما تعلق بالتفريق بين ما هو طوعي وقسري،طبيعي او غير طبيعي.

وتهدف الدراسة الى استقراء مواطن التلازم بين عوامل الطرد والجذب في الحالة الاستيطانية والتوطينية الصهيونية، الفلسطينية،من خلال طرح الاشكالية التالية:

- كيف ساهمت متلازمتي الطرد والجذب في تكريس الاستيطان والتوطين الصهيوني في فلسطين؟.

وتتفرع من الإشكالية تساؤلات منها :

- ماهي أهم الأساليب الصهيونية المتبعة في تهجير وطرد الفلسطينيين ؟.

- فيما تتمثل أهم السياسات الصهيونية المتبعة لجذب المستوطنين من الشتات؟.

**فرضيات الدراسة:**

- عرف الاستيطان الصهيوني في فلسطين سيرورة ذات طبيعة استعمارية كغيره من النماذج الاستيطانية الأخرى .

- كان لمختلف الآليات والوسائل السياسية العسكرية،والخرافات والأساطير الدينية الصهيونية الاثر الكبير في تكريس متلازمتي الطرد والجذب.

**الكلمات المفتاحية** :الاستيطان،التوطين،الصهيونية،الطرد،الجذب.

وإجابة عن الاشكالية،ولفهم حقيقي للسياسات الصهيونية في مجال الاستيطان والتوطين في فلسطين، يجب النظر إليها كوحدة متكاملة تجمع بين الأفكار النظرية، والسياسات العملية المطبقة على أرض الواقع،فقد أقامت الصهيونية الاستيطانية[*] وجودها واليات تحقيق مشروعها على ركيزة الهجرة والاستيطان،انسجاما مع الإستراتيجية الصهيونية القائمة على" نفي الأخر "وليس استيعابه أو التعايش معه، أو القبول بمشاركته حقه،أين نجد أن الهجرة والاستيطان يقابله على الصعيد الأخر الاجتثاث والاقتلاع وخلق الوقائع الجديدة . فتاريخ الكيان الصهيوني هو تاريخ استجلاب اليهود إلى فلسطين واقتلاع الفلسطينيين من أرضهم[1]، لإحلال المهاجرين مكانهم وفق إستراتيجية طويلة المدى للتخلص من الشعب الفلسطيني تحقيقا للأساطير الصهيونية الكبرى (الأرض الموعودة، شعب الله المختار، أرض بلا شعب لشعب بلا أرض...)،ومن خلال ذلك يمكن التساؤل:

**1- متلازمة الطرد الصهيوني للشعب الفلسطيني (الفلسطينيون نحو الدياسبورا[*1]):**

سعى المخطط الاستيطاني الصهيوني منذ البداية لطرد وترحيل أكبر عدد ممكن من السكان الأصليين الذين يشغلون الأرض التي سيقام عليها هذا الكيان، وبالتالي فإن ضرورة اجتثاثهم منها أصبح أمرا حتميا لإقامة دولة يهودية خالصة لا تشوبها أية شوائب عرقية أو حضارية أخرى، وفي ذلك يقول المفكر الصهيوني البريطاني "إسرائيل زانجويل": "يجب ألا يسمح للعرب أن يحولوا دون تحقيق المشروع الصهيوني، ولذا لا بدّ من إقناعهم بالهجرة الجماعية... أليست لهم بلاد العرب كلها؟، ليس ثمة من سبب خاص يحمل العرب على التشبّث بهذه الكيلومترات القليلة، إنهم بدو رحل يطوون خيامهم وينسلون في صمت،وينتقلون من مكان إلى آخر"[2]، ومنه فإن المسألة الأساسية مترابطة عضويا مع العملية العكسية،انطلاقا من القاعدة الصهيونية التي ترى أنه لا مكان في فلسطين للمستوطن اليهودي والساكن الأصلي الفلسطيني في آن واحد[3]. وهدفا لذلك سعى القادة الصهاينة الى توفير قدر ما أمكن

من عوامل طرد الفلسطينيين وهجرتهم طوعا أو تهجيرهم قسرا،واعتمدوا في ذلك على عدة سياسات يمكن ان نذكر منها مايلي:

**أ- الحرب المباشرة(مصادرة الأرض وتهويدها):** لقد كانت السياسة الاستيطانية الصهيونية منذ البداية مبرمجة على عنصر الأرض، إذ تمت السيطرة على الأراضي الخصبة ذات الموقع الإستراتيجي الهام في فلسطين [4]، ومنه أوجد الاستيطان الصهيوني واقعا جغرافيا جديدا بتحويله الأرض الفلسطينية إلى بقع جغرافية معزولة عن بعضها البعض بواسطة المستوطنات[5]، وفي ذلك يرى "الدكتور عبد الوهاب المسيري" أن مفهوم اقتحام الأرض هو أحد الأسس التي يستند إليها البرنامج الصهيوني الاستيطاني، وهو مفهوم ينادي بالاستيلاء على أرض فلسطين واستغلالها حتى يمكن إنقاذها من أيدي الأغيار[*2] ببناء المستوطنات اليهودية، وعن طريق غزو الأرض،فيطهّر اليهودي نفسه من طفيليته التي كانت تسمه كشخصية هامشية تعمل بالتجارة والرّبا في "الدياسبورا"،حيث كان يعيش منفيا محرّما عليه- حسب التصور الصهيوني- العمل في الزراعة والاحتكاك بالطبيعة ومصادر الحياة، فاقتحام الأرض لم يكن الدّافع إليه اقتصاديا فحسب وإنما كان نفسيا أيضا، والاقتحام لم يتم بالتسلل والشراء فقط وإنما بالعنف والإرهاب والإبادة[6]، وما يؤكّد عمليات تهويد الأرض، قول"بن غوريون" "إن هذا هو العمل الكبير والصعب أمام الشبيبة لتأدية الواجب، لقد حرّرنا أراضي الدولة بالقوة، ولكن الأرض المحرّرة لن تكون لنا بشكل حقيقي إلا بالعمل والاستيطان[7].

**ب- الاجتثاث والتهجير القسري(الفردي والجماعي،الداخلي والخارجي):** أجبرت السياسات والمخططات الصهيونية المتتالية السكان الفلسطينيين على الرحيل، فبعد احتلال الأراضي الفلسطينية، رحل حوالي 255 ألف مواطن إلى الأردن، 18 ألف مواطن إلى سوريا، 48 ألف إلى مصر، والآلاف إلى مختلف بلدان العالم العربي والغربي جرّاء سياسات التضييق والتقييد بمختلف الوسائل التي تراوحت بين ارتكاب المجازر، وهدم البيوت والقرى بكاملها، أسوة بنموذج الاستيطان الأمريكي الذي قام على أنقاض الهنود الحمر، وفي ذلك يقول" **دافيد بن غوريون**" في رسالة لابنه عام 1938م:"سوف نجبرهم على الرحيل و نحتل مكانهم "،كما صرح "ايهود باراك" لمجلة هارتس في نوفمبر 2000م قائلا:"لقد طردناهم في عام 1948م،ومن لم يطرد غادر نتيجة الحرب"[8]

لقد حوّل الشعب الفلسطيني إلى شعب بلا جنسية،كما أدّت عمليات الطرد إلى تهجير آلاف الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد كان عدد سكان الضفة الغربية قبل سنة (1967م) حوالي 845.000 نسمة انخفض هذا العدد إلى 600.000 نسمة في نهاية العام فقط، أما في قطاع غزة فقد كان عدد السكان قبل نفس السنة 385000 نسمة فانخفض في نفس الفترة إلى 380.000 نسمة[9]. وهذا الإبعاد القسري ضد المواطنين الفلسطينيين كان بصورة جماعية و فردية، فالإبعاد الفردي استهدف معظم شخصيات المقاومة والحركات النقابية، والسياسية، والاجتماعية والدينية[10]، أما الإبعاد الجماعي فمن خلال تجميع المواطنين في القرى والأحياء والمخيمات وترحيل أعداد كبيرة منهم بحجة أنهم عسكريون أو مقاومون او متعاونون معم .

جدول رقم (1): اعداد المهجّرين سنة 1948 بحسب الاقضية وتقديرات تعدادهم سنة 2009[26]

| القضاء | عدد القرى المهجرة | عدد المهجّرين | |
|---|---|---|---|
| | | سنة 1948 | سنة 2009 |
| عكا | 30 | 47,038 | 399,618 |
| الرملة | 64 | 97,405 | 827,518 |
| بيسان | 31 | 19,602 | 166,531 |
| بئر السبع | 88 | 90,507 | 768,915 |
| غزة | 46 | 79,947 | 679,201 |
| حيفا | 59 | 121,196 | 1,029,637 |
| الخليل | 16 | 22,991 | 195,323 |
| يافا | 25 | 123,227 | 1,046,892 |
| القدس | 39 | 97,950 | 832,147 |
| جنين | 6 | 4,005 | 34,025 |
| الناصرة | 5 | 8,746 | 74,303 |
| صفد | 78 | 52,248 | 443,880 |
| طبريا | 26 | 28,872 | 245,286 |
| طولكرم | 18 | 11,333 | 93,724 |
| المجموع | 531 | 805,067 | 6,837,000 |

**المصدر: محسن صالح،معاناة اللاجئ الفلسطيني في ظل الاحتلال، ط1، بيروت :مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات،2010م،ص 26.**

قدّر عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين نزحوا أو طردوا قبل وخلال وبعد حرب 1948م بحوالي 726.000لاجئ فلسطيني مسيحي ومسلم(يشكلون 75٪ من السكان العرب)، فيما يقدر عددهم اليوم بأكثر من (5ملايين لاجئ)، ويشار عادة إلى هؤلاء باسم "لاجئي عام 1948م"[11]، كما نزح في عام 1967م حوالي400.000 فلسطيني عن

منازلهم في الضفة الغربية وقطاع غزة ويعرف هؤلاء باسم "نازحي عام 1967م"[12]، ولم تسمح إسرائيل للاجئي عام 1948م،ولا نازحي 1967م بالعودة إلى ديارهم،وقدّر عددهم الإجمالي سنتي 2007/2006 م بأكثر من سبعة ملايين لاجئ، يشكلون أكبر وأقدم مجموعة لاجئين في العالم .

**اتجاهات خروج اللاجئين الفلسطينيين:**

**المصدر: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2012م /**
**مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات .**

وما يدعوا للأسى أن اجتثاث وتشريد اللاجئين الفلسطينيين يتواصل إلى حد اليوم باستمرار السياسات الاستيطانية الصهيونية، لكن على مستوى مختلف نتيجة لسياسات هدفها" الترحيل الصامت للفلسطينيين" عن وطنهم،و ذلك عن طريق هدم المنازل،بناء الجدار العازل، توسيع رقعة المستوطنات، إلغاء حق الإقامة .....والتي تؤدي إلى مزيد من الهجرة القسرية إلى الخارج أو التشريد الداخلي .

ج- **الإبادة والتقتيل(المذابح):** لازالت عملية الإبادة والإرهاب الصهيوني،الآلية الأكثر استعمالا على أرض الواقع في فلسطين، فقد استعملت بحدّة في تفريغ أجزاء واسعة من سكانها وفرض المستوطنين الصهاينة مكانهم،ويتم ذلك من خلال

المنظمات الإرهابية غير الرسمية (مليشيات المستوطنين- التخريب المؤسسي، التمييز العنصري، الحرب النفسية)، والإرهاب المنظم والمؤسسي الذي تقوم به المؤسسة العسكرية في الدولة الصهيونية[13].

إن إحلالية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني هي نتيجة حتمية "لصهيونيته"، بل يمكن التأكيد أنّ الإحلالية والصهيونية هما مترادفان يعبّران عن الشيء ذاته. فالصهيونية تهدف لإقامة دولة يهودية خالصة، ووجود أي عنصر غير يهودي داخل هذه الدولة سيؤدي إلى فشل المشروع الصهيوني من أساسه، أي أنّ البرنامج الصهيوني، لأنه صهيوني، كان يتطلب إحلال اليهود محل العرب، وليس مجرّد استغلال هؤلاء العرب. وغالبية الصهاينة يدركون الطبيعة الاستعمارية، الاستيطانية الإحلالية العدوانية الفاشية للمشروع الصهيوني،

تأخذ عمليات الإبادة والقتل شكلا جماعيا، بالقضاء على قرى ومداشر فلسطينية بأكملها، أو عن طريق تصفية القيادات الوطنية للمنظمات المختلفة، حيث تجري عمليات قتل وطرد القيادات والكوادر وملاحقتهم في أنحاء الوطن العربي والعالم[14]، وتعتبر "مذبحة دير ياسين" من أهم المذابح الصهيونية، ومع ذلك لم تكن سوى جزء من نمط أعم يعتمد على القيام بمذابح ذات طابع إبادي محدود، هدفه التطهير العرقي، تكريسا للاستيطان وتقوية له، بجعل فلسطين "أرض بلا شعب".

وعموما فبعد اتفاقيات "أسلو" في 13 سبتمبر 1993م[3*] فإن أشكال الإبادة والتقتيل والإرهاب الصهيوني قد تحوّلت إلى نطاق جغرافي شمل الضفة والقطاع،ويتجلّى خطاب الإحلال والعنف والإرهاب الصهيوني في قول "بن غوريون" معلقا على المعارك العنيفة، والمذابح الجماعية التي نفّذها الصهاينة ضد الفلسطينيين مشبها اياها بتلك التي "شنّها المستوطنون البيض ضد الطبيعة الوحشية وضد الهنود الأكثر وحشية"

**د- العزل والحرب النفسية:** انفرد الكيان الاستيطاني الصهيوني بعدة سمات عن الجيوب الاستيطانية الأخرى، فقد تم الاستيلاء على الأرض ومحاولة القضاء على الشعب على مراحل والحلول محله، ونتيجة لكون التناقض الرئيسي هو بين

المستوطنين من جهة وبين المجتمع الأصلي من جهة ثانية،فإن ذلك جعل سياسة الاستيطان تتجه وتكون أكثر استعدادا للجوء إلى مختلف أشكال الهيمنة الاستيطانية،[15] ومنه برز نمط استيطاني أخر يتكيف ومجمل المتغيرات الإقليمية والدولية،عرف "بعمليات التطويق الاستيطاني".

تعتمد الإستراتيجية الاستيطانية الصهيونية الجديدة على العزل الجزئي أو الكامل للمناطق الفلسطينية، وتطويق "فلسطين التاريخية"،من خلال تشتيتها إلى أجزاء مترامية الأطراف يسهل من خلال ذلك التحكم فيها و جعلها مجرد "سجون كبيرة".

ومن خلال تتبع السياسات الصهيونية في مجال" العزل الابارتهايدي" يمكن استخلاص وقائع مفادها أن الصهاينة أعلنوا ويعلنون بشكل دائم رفضهم المطلق قيام الدولة الفلسطينية، بل حتى قيام أي شكل من أشكال الكيان الفلسطيني، ويترجمون هذا الرفض من خلال السعي نحو تقويض أساس إمكانية قيام هذه الدولة أو الكيان من خلال سياسة العزل والتطويق،وفي طريق التقويض النهائي،جعلت هذه السياسة من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967م جزرا معزولة تقطعها المستوطنات والشوارع الاستيطانية طولا وعرضا (الأحزمة الخضراء)،ناهيك عن كونها ليست جزءا واحدا أصلا حتى يمكن قيام أي سيادة فلسطينية عليها مستقبلا [16].

## 2- متلازمة الجذب الصهيوني للشعب اليهودي(اليهود من الدياسبورا الى فلسطين):

يحاول المنظّر الاستيطاني الصهيوني زيادة الدعم لتسريع الهجرة الاستيطانية إلى أرض فلسطين باعتماد مجموعة من الأساطير والخرافات والاعتقادات الدينية "التوراتية و التلموذية "،فالمتتبع للواقع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين يدرك درجة الاستغلال الصهيوني لهذا الجانب في تسريع العملية الاستيطانية وإعطائها بعدا دينيا وروحيا، وهيأت يهودي الشتات نفسيا،وأعطت له مفهوما "عصبيا" وطائفيا عنصرا فريدا من نوعه، وجعلت منه فردا ( في نظر هذه المرجعيات) لا تكتمل يهوديته إلا بالعودة إلى أرض الميعاد التي وهبها له ولنسله "يهوه القدير،وقد زاد ذلك أثرا تحديث

وتكييف هذه الرؤى والاعتقادات مع التطورات و الأحداث الدولية.

**أ - الأساطير والخرافات اللاّهوتية القديمة:** استغل الصهاينة مجموعة من الاساطير والخرافات القديمة -لا يقبلها العقل والمنطق في أحيان كثيرة- في عملية التحفيز النفسي وتوفير عوامل الجذب ليهود الشتات، نذكر منها :

**1- مرجعية الأرض (الأرض الموعودة):** يتم تبرير الرؤى الاستيطانية الصهيونية في فلسطين عن طريق الأساطير والقصص التوراتية[17]، ولم يكن الاختيار الصهيوني لفلسطين دون سواها إلا تلبية لما جاء في التوراة من أقوال تؤكد على أن فلسطين هي أرض الميعاد التي أراد الله أن يجمع فيها اليهود بعد أن كان قد وهبهم إياها في الزمن القديم، وتجسيدا للمشاريع الاستيطانية ادعت الصهيونية الحق في امتلاك فلسطين من خلال القول بأنها الوطن التاريخي "لبني إسرائيل" وأنها قد منحت لهم منحة إلهية وأبدية، وهذه الحجة لا تعتمد على أساس سياسي أو قانوني وإنما على مجرّد دعامة دينية،[18] حيث جاء في سفر التكوين، الإصحاح [19] مايلي: "في ذلك اليوم بثّ الرّب مع إبراهيم عهدا قائلا "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات،وفي الإصحاح(13) من نفس السفر ما يلي: "وقال الرّب لإبراهيم.. ارفع عينيك وأنظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد، واجعل نسلك كتراب الأرض، حتى إذا استطاع أحد أن يعدّ تراب الأرض فنسلك أيضا يعد.."[20].

وانطلاقا من النّص التوراتي حاولت الصهيونية تكريس المبادئ الأولى لبناء المشروع الاستيطاني، في محاولة للجمع بين الجانب الروحاني والسياسي، ويتجلّى ذلك أكثر من خلال ما قاله "هرتزل" في المؤتمر الصهيوني الأول (1898م) :"إن العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا إلى اليهودية، وإن هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد في الكتاب المقدس بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين"[21]، وكذلك في قول الجنرال "موشي ديان" عام(1967م) :"إذا كنا نملك التوراة، ونعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي المنصوص عليها في التوراة"[22]، ومنه يدّعي اليهود أن امتداد إسرائيل -على حسب المخطط الاستيطاني الصهيوني البعيد المدى من نهر الفرات إلى النيل تجسيدا للشعار الصهيوني "محياك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل" - إنما هو تعبير عن إرادة الله واستجابة لمشيئته .

لقد تمكن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني من تحويل أسطورة "جبّارة" هي "أسطورة العودة" إلى واقع تاريخي من خلال العمل على استغلال مضامين التوراة والتّلموذ وتشجيع اليهود على الهجرة والاستيطان بالعودة إلى أرض الميعاد، أرض الأجداد التي تلائم اليهودي العصري وتجعله نقيا وطاهرا، وفي هذا يقول تيودور هرتزل "إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ينسى وسوف يصبح هذا الاسم وحده صيحة الحشد الجبارة لشعبنا".[23]

2- **شعب الله المختار**: حاول أيضا الصهاينة اليهود تغذية المشروع الاستيطاني في فلسطين من خلال الإدعاء بأنهم "أحباء الله" وأنهم "شعب الله المختار" اصطفاهم على العالمين، فهم مميّزون عن باقي البشر، وشعوب العالم أقل منهم منزلة، فأرواح بني إسرائيل كما يعتقدون تتميّز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه، أما الأمم الأخرى من غير اليهود فقد أطلق عليهم العهد القديم اسم "أميين " أو "جويم" أي حيوانات، فهي حيوانات سائحة في شكل إنسان تتكلم لخدمة أبناء الله المختارين[24]، فالعالم يمكن تقسيمه إلى قسمين: إسرائيل من جهة والأمم الأخرى من جهة أخرى، وإسرائيل هي الشعب المختار، وهذه عقيدة أساسية"[25] واليهودي يعتبر عند الله أسمى من الملائكة، فقد جاء في التلموذ :"أن النطفة التي خلقت منها بقية الشعوب هي نطفة حصان"، وجاء فيه أيضا: "وخلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت لأجلهم الدنيا"[26].

لذلك تم التّنظير لتفرّد الجنس اليهودي عن باقي الأجناس، وما دام اليهود جنس الله المختار فينبغي ألاّ يذوب في الأجناس الأخرى الأقل منه شأنا[27]، لذا وجب إقامة وطن قومي في أرض الميعاد يكون متفردا عن البلدان الأخرى حفاظا على نقاوة الجنس اليهودي، فاليهود نشيطون وشجعان وحازمون وأذكياء، أما العرب فهم منحطّون وأغبياء وخونة لا ينتجون إلا الأمور الشاذة المتأثرة بصمت الصحراء[28].

- "إن الرّب إلهكم الذي ميّزكم من الشعوب، فتتميزون بين البهائم الطاهرة والنجسة فلا تدنّسوا نفوسكم بالبهائم والطيور، ولا بكل ما يدبّ على الأرض مما ميّزته لكل ليكون نجسا".

**3- أرض بلا شعب لشعب بلا أرض:** يعتبر هذا الشعار صياغة معلمنة للرؤية التوراتية القائلة بأن فلسطين هي أرض الميعاد والأرض المقدسة، وأن اليهود هم الشعب المقدس، ومن ثم فالشعب المقدس لا بد أن يعود للأرض المقدسة فهو صاحبها، فالشعب اليهودي منبوذ وبدون نفع في أوروبا، لا وطن له (بلا أرض)،لذا يجب نقله إلى أرض لا تاريخ فيها ولا تراث ولا بشر (بلا شعب)، وإن وجد هذا الشعب يمكن إبادته أو طرده عن وطنه[29].

يعتبر اللورد "شافنتسبري" أول من قام بعلمنة الصياغة أين تحدث في منتصف القرن التاسع عشر عن "الأرض القديمة للشعب القديم"، ثم اكتملت العملية في ظهور الصياغة الحالية "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" كتعبير جليّ عن إقصاء وتجاهل وتحقير للأجناس الأخرى خاصة العرب،كما يتسم شعار "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" بتناسقه اللّفظي الساحر، فهو ينقسم إلى قسمين متساويين يستخدم كل قسم القدر نفسه من الكلمات، وكلمة "بلا" في القسمين هي المركز الثابت والعنصر المشترك، وما يتحرك هو كلمتا "الأرض" و"الشعب"، فيتبادلان مواقعهما تماما كما يتبادل اليهود والعرب مواقعهم[30]، وبتفصيل أكثر فإن الصهاينة قدموا إلى فلسطين لتعمير الصحراء الخالية من أي شعب والتي تمثل جنّتهم الموعودة[31].

لقد تمّ تحويل هذه الشعارات العنصرية إلى شعارات استيطانية حرفية من خلال جعل اليهودي في المركز ومن ثم يصبح العالم كله فراغا بلا تاريخ أو بشر (فلسطين)، واستدعى ذلك التوظيف العملي لهذا الشعار من خلال" الترانسفير المزدوج"أي تحريك اليهود من المنفى إلى الأرض، وتحريك السكان الأصليين من الأرض إلى المنفى، المهم ألاّ يبقى هناك شعب فلسطيني، وفي هذا الشأن يقول "جولدا مائير": "ليس هناك شعب فلسطين... ولم يكن الأمر أننا جئنا وأخرجناهم من الديار واغتصبنا أرضهم فلا وجود لهم أصلا".

ب- **الخرافات والأكاذيب الحديثة:** لم يتم التنظير للمشروع الاستيطاني في فلسطين بالأساطير والخرافات اللاّهوتية القديمة فقط، وإنما تم مسايرة العصر، فتم الأخذ بعين الاعتبار تغيّر المعطيات والوقائع الدولية، وازدياد المطامع الاستيطانية الصهيونية وضرورة تغيير نمط الخطاب الموجه للمجتمع الدولي، وفي ذلك ظهرت

الأساطير والخرافات الحديثة، وظهرت هذه الآليات بالخصوص مع بداية القرن العشرين وهي:

**1- الإبادة الجماعية لليهود (الهولوكوست):** لعلّ من أكبر المفاهيم المتداولة اليوم في الأدبيات السياسية والتاريخية ما أطلق عليه مصطلح "الهولوكوست" أو المحرقة اليهودية،استخدم مصطلح "الهولوكوست" Holocauste [4*] للإشارة لمأساة الإبادة النازية لليهود منذ السبعينات، فلكي تكتمل التعبئة والتمويه كان من الضروري استخدام كلمة ذات مدلول "لاهوتي" مثلها لإضفاء طابع التضحية على المذابح وإدخالها بشكل أو بآخر في صميم المشيئة الإلهية شأنها شأن عملية صلب المسيح.[32]

وسيقت في هذا المجال عدة تقديرات مختلفة لعدد الضحايا اليهود[33]

- 8 ملايين وفق ما ورد في كتاب "وثائق عن تاريخ الحرب": معسكرات الاعتقال 1995م).
- 04 ملايين طبقا للتقرير السّوفياتي الذي اعتبرته محكمة "نورمبرج" دليلا قاطعا بموجب المادة 11 من قانون المحكمة.
- 02 مليون حسبما ذكر المؤرخ "ليون بولياكون" في كتابه "صلوات الكراهية" (1974م).
- مليون و250 ألف وفق المؤرخ "راؤول هيليرج" في كتابه القضاء على يهود أوروبا (1985م).

لقد وضعت الصهيونية إستراتيجية محدّدة اتجاه"يهود الشتات" تتلخّص في الهجوم عليهم "من أعلى" عن طريق التحالف مع السلطات الإمبريالية بخلخلة وضعهم القانوني والاجتماعي،بالتعاون مع معادي السامية والنازيين،وعن طريق إرهابهم في أوطانهم حتى يفرّوا منها ويقعوا في أحضان المشروع الاستيطاني الصهيوني[34].

**2- "معاداة السامية" Anti-Semitism**: انطلاقا من خرافة "الهولوكست"، روّج المنظر الاستيطاني الصهيوني إلى خرافة وأكذوبة أخرى هي حركة "العداء للسّامية" كتعبير عن كراهية اليهود والحقد عليهم أو ممارسة التمييز العنصري

ضدّهم،أو ضد مؤسساتهم المجتمعية والدينية سواء بطريقة علنية كأعمال العنف، أو غير علنية كالمظاهر التي تنعكس في إبداء مواقف متحيّزة وعنصرية ضدهم.

لقد أسهم العداء للهود (عداء الأغيار) بشكل لا يقلّ عن العواطف المؤيّدة لليهود في تأسيس الحركة الصهيونية والكيان الاستيطاني الصهيوني، لأنه أوجد مشكلة فعلية يجب السّعي مباشرة وبسرعة لحلها، وقد تمكن اليهود فعلا من استثمارها بشكل كبير وفعال، فكان على أهل فلسطين والعالم الإسلامي أن يدفعوا فاتورة مشاكل اليهود ومعاناتهم في أوروبا[35]، وفي هذا الصدد يقول "ألبرت أينشتاين": "إننا ندين إلى اللاّسامية في المحافظة على وجودنا واستمرارنا"[36] وكذا قول "هرتزل": "إن المعادين للسّامية سيكونون خير حلفاء لنا"[37].

لم تساهم هذه التبريرات الدينية والأساطير الخرافية في رسم صورة عن فردوس ضائع وجب استرجاعه بالهجرة الاستيطانية في ذهن المستوطن اليهودي فحسب،ولا في مجرد جعل أرض فلسطين وطنا لليهود وفقط، كما تصورها مؤسسو الصهيونية الاستيطانية الأوائل،بل كانت بوتقة تم من خلالها صهر اليهود وتطبيعهم ومحاولة جعلهم شعب واحد كبقية شعوب العالم .

**الخاتمة :**

استغل منظرو الصهيونية الاستيطانية والتوطينية عوامل الطرد والجذب في تسريع تكريس الهيمنة الاستيطانية بالاستيلاء على الارض الفلسطينية وتهجير سكانها، فكانت العملية اشبه ما تكون بالمقولة الأسطورية "شعب بلا ارض لأرض بلا شعب" فكما تتبدل الكلمات والالفاظ في هذه العبارة بين جزئي الجملة يتبادل الفلسطينيون واليهود أماكنهم أيضا،فمن خلال متلازمتي الطرد والجذب التي كرّسها الصهاينة -ولا يزالون- بكل دقة ووحشية أيضا-، يهجّر يهود الشتات الذين كانوا يعيشون منفيين منبوذين في كل أصقاع العالم الى "اورشليم التاريخية"،لكن هذه العملية أيضا يتبعها تلازم واجب لا تفاوض حوله وهو طرد السكان الأصليين الفلسطينيين من بلدهم وأرضهم وارض أجدادهم وتشتيتهم على بقاع الأرض.

وعليه فان:

- الملاحظ ان إسرائيل استغلت بقوة الخرافات والأكاذيب والأساطير التوراتية والتلموذية في تهيئة بيئة الجذب للمستوطنين اليهود،غير أن ذلك يمكن ويسهل مواجهته، فازدياد الوعي الثقافي والسياسي، خاصة مع تطور الدراسات والبحوث التاريخية والحفريات الايكولوجية تساهمت اليوم في كشف زيف وكذب الاساطير والخرافات والادعاءات والمطامع الصهيونية .

- استطاعت اسرائيل تكريس عوامل الطرد للشعب الفلسطيني بكل الوسائل الوحشية -التي ذكرناها في متن الدراسة- غير القانونية والمنافية لمواثيق ولوائح القانون الدولي، ولم يكتف الصهاينة باستعمال هذه الأساليب على الفلسطينيين فقط، بل فرضت عوامل الطرد على اليهود التوطينين المستقرين في البلاد الغربية وارهبتهم وكرست لديهم شعورا بأنهم منبوذون ومحتقرون،فكان التلازم على هذا النحو: عوامل طرد في البلاد الغربية يقابلها عوامل جذب في الارض الموعودة.غير أن المثير في كل هذا وذلك عدم تعرض القادة الاسرائيليون والصهاينة الى اي متابعات قضائية دولية .

- بالرغم من نجاح اسرائيل في تهيئة بيئة الطرد لملايين الفلسطينيين وتشتيتهم ومتابعتهم حتى في الشتات أحيانا،إلا أن فشل الكيان الصهيوني في تطبيع المحيط العربي سياسيا واقتصاديا وأمنيا على الأقل على المستوى الطويل المدى،يجعل "فوبيا" الأمن هاجس المستوطن والكيان الاستيطاني،حيث لم تتمكن إسرائيل من تحقيق الجنة الموعودة، في ظل كيان سياسي يعيش في محيط معادي له من كل الاتجاهات .

**الهوامش:**

(*)- **الصهيونية الاستيطانية**: وأصحابها يرون أن الاستيطان جوهر الصهيونية، والاستعمار الاستيطاني يجب أن يكون إحلاليا ولا يأخذ شكل جيش يقهر أمة ويحتل أرضها ليستغل إمكاناتها الاقتصادية والبشرية لصالح البلد الغازي وحسب، وإنما يأخذ شكل انتقال الفائض البشري اليهودي من أوطان مختلفة إلى فلسطين للاستيلاء عليها وطرد سكانها الأصليين والحلول محلهم، فالصهيونية الاستيطانية هي صهيونية من يستوطن ويسكن في فلسطين بالفعل.

(1)- نافذ أبو حسنة،**جغرافية الاستيطان**، لبنان : دار نمير للطباعة والنشر،1997م،ص5.

(1*)- **الدياسبورا** :كلمة يهودية تعني الشتات،أي اليهود المتوزعون في شتى اصقاع الارض .

[2]- عبد الوهاب المسيري، **الصهيونية والعنف.من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى**، ط3، القاهرة: دار الشروق،2009م.، ص226.

[3]- أنيس فايز قاسم، **قانون العودة لدولة إسرائيل**، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية،مركز الأبحاث، 1971م، ص170.

[4]- عبد الملك خلف التميمي، **الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، المغرب العربي، فلسطين، الخليج العربي**، دراسة تاريخية مقارنة، عالم المعرفة، 1983م.، ص96.

[5]- نافد أبو حسنة،**جغرافية الاستيطان ووهم الدولة**،بيروت:دار النسيم للطباعة و النشر والتوزيع، 1997م،ص 14.

[2*]- **الأغيار**: وهم السكان من غير اليهود ويقصد بهم في الغالب المسلمين و المسيحيين.

[6]- صبري جريس، **العرب في إسرائيل**، ط2،، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1973م، ص131.

[7]- صبري جريس، **المرجع السابق الذكر**، ص178.

[8]- صبري جريس **المرجع نفسه**،ص25.

[9]- نظام بركات، **الاستيطان الاسرائيلي في فلسطين بين النظرية والتطبيق،ط1**،بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية،1988م، ص142.

[10]- عبد السلام قديسة لبيب، **إبعاد الفلسطينيين عن وطنهم (1965-1993م)**، عمان:2003م، ص12-13.

[11]- منظمة التحرير الفلسطينية،دائرة شؤون المفاوضات،**اللاجئون الفلسطينيون**،على الموقع :www.nad-plo.org، 25-09-2010م

[12]- حوالي 95.000 من لاجئي 1948م أصبحوا لاجئين للمرة الثانية في عام 1967م،حسب وثيقة الأمم المتحدة A/6796 لعام 1967م

[13]- عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، م7، المرجع السابق الذكر، ص95.

[14]- عبد العزيز العشماوي، **جرائم الإبادة ضد الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام 1967م**، الجزائر: رسالة دكتوراه في القانون،: معهد الحقوق والعلوم الإدارية، 1995م، ص121.

[3*]- وهي اتفاقية إعلان المبادئ بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية،وانطوت على تعهد إسرائيلي أساسي وصريح وشامل بالتخلي عن الإرهاب و الإبادة.

[15]- علي الدين هلال، مفهوم الكيانات الاستيطانية، **مجلة المستقبل العربي**، 1978م، ص89.

[16]- نافذ أبو حسنة،**المرجع السابق الذكر**،ص 33

[17]- عبد الوهاب المسيري، **الصهيونية والعنف..من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى**، **المرجع السابق الذكر**، ص104.

[18]- حسن علي مصطفى، **اليهود هم العدو فاحذروهم،الجزائر** :دار الشهاب،1986م، ص177.

[19]- أبكار السقاف، **إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة**، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م، ص23.

[20]- **الكتاب المقدس**: طبعة "ريجارد واطسن" في لندن (1831م) على النسخة المطبوعة في روسيا سنة (1671م).

[21]- أبكار السقاف، **إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة**،ط1،القاهرة مكتبة مدبولي،1998م، ص23.

[22]- رجاء غارودي، **الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية**، ط2، القاهرة: دار الشروق. 1998م، ص43.

[23]- رجاء غارودي،**الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية**،ط2،القاهرة:دار الشروق،1998م،ص43.

[24]- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الادعاءات الصهيونية والرد عليها**،مصر:مؤسسة شباب الجامعة، 2004م، ص74.

[25]- رجاء غارودي، **الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية**، **المرجع السابق الذكر**، ص54.

[26]- حسين عبد الحميد أحمد رشوان،**الإدعاءات الصهيونية و الرد عليها**،مصر:مؤسسة شباب الجامعة، 2004م،ص75.

[27]- ريجينا الشريف،احمد عبد الله عبد العزيز،، **الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ العربي**، الكويت :المؤسسة الوطنية للثقافة والفنون والآداب،1985م، ص164.

[28]- **المرجع نفسه، ص65**.

[29]- عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، م6، **المرجع السابق الذكر**، ص08.

[30]- عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، م6، **المرجع السابق الذكر**، ص08.

[31]- خليل إبراهيم حسنونة، **العنصرية الصهيونية وكيفية مواجهتها**، ط1، ليبيا: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، 1981م، ص85.

[4*]- **holokouste** :هي كلمة يونانية تعني "**حرق القربان بالكامل**" وكانت في الأصل مصطلح ديني يهودي يشير إلى القربان الذي يقدم للرّب على سبيل التضحية ثم يحرق تماما على المذبح،وهو

طقس مقدّس لدى اليهود، أما حديثا فإنها تشير إلى إبادة اليهود على أيدي النازيين وهو تشبيه لليهود بالقربان الذي حرق تماما لأنه أكثر الشعوب قداسة

[32]- رجاء غارودي، **الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية**، **المرجع السابق الذكر**، ص22.

[33]- لمزيد من المعلومات أنظر: رجاء غارودي، **الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية**، **المرجع السابق الذكر**، ص114-115.

[34]- عبد الوهاب المسيري،**الإيديولوجية الصهيونية**،ج2، **المرجع السابق الذكر**، ص67.

[35]- محمد حسن صالح، **فلسطين دراسة منهجية في القضية الفلسطينية**، ط1، مصر: مركز الإعلام العربي، 2003م، ص171.

[36]- محمد السمّاك، **الاستغلال الديني في الصراع السياسي**، بيروت: دار النفائس، 2000م، ص50.

[37]- رجاء غارودي، **محاكمة الصهيونية الاسرائيلية**، ط1، بيروت:دار الجيل،1998م، ص65.